جســـد زمـــن الغضـــب العربـــي وروحـــه

www.arabpsynet.com/documents/DocFayadArabAnger.pdf

منى فياض – علـم النفس، لبنان

monafayad@hotmail.com

" . . الجسد المحترق تسبب في تغيير مستقبل الاوطان العربية؛ تحولت نارة كرة ثلج تدحرجت من سيدي بوزيد الى تونس العاصمة منسيبة بثورة الياسمين التي جرفت أجسادها الثائرة النظام التونسي منخطية الحدود حيث حطت في ميدان التحرير لشدلق ثورة اللوتس التي كانت تنحض وتنتظر اللحظة المناسبة منذ أن ضرب جسد خالد سعيد حتى الموت.

الفعل المؤسس: إضرام بو عزيزي النار في نفسه

الحديث عن معارضة يعني وجود حركة او قوة تتعارض مع قوة أخرى أي ديناميتان متضادتان ما يفترض وجود مساحة وفضاء وهذا ما يحيلنا بدوره الى ما هو مادي وواقعي في الممارسة العملية، فالمساحة لها حدود ويمكن السيطرة عليها وهذا ما يسمى بمفاهيم الانتروبولوجيا الحيز المكاني، أي المساحة المسكونة أو التي ينتظم فيها الجسد.

الجسد أحد مفاتيح الخروج على الفردانية؛ بالرغم من أنه غالباً ما يتم الربط بين الجسد والفرد. فعندما نفكر بجسد، نفكر أنه "جسد فلان" كتمثل لمعنى عام تتشكل بحسبه الانفعالات كظواهر ذاتية، غير قابلة للالتقاط تنبثق عن حميمية القلب التي يتعذر علينا سبرها. الجسد مع ذلك غير فردي: فهو يفيض دائماً، إنه طفح بحد ذاته، نتوء متجسد في المكان. وهو لهذا بالذات موضع السلطة بامتياز، يُقمع ويُروّض ويُكره ويُرغم.

بدأت الثورات العربية إنطلاقاً من جسد قام بحركة مفاجئة. جسد الشاب التونسي بو عزيزي كان مسرحها وموضعها. أضرم النار في نفسه، في جسده، **فتحول هذا الجسد إلى رمز للرفض المطلق وموضعا له.** أشعلت النيران جسده ملتهمة معه الخوف، مفسحة المجال لمساحة اكتسب حضورها بذاته طاقة تجاوزت الخوف والرعب القدريين. وجدت الثورة لها جسداً. صار للثورة موضع انحفرت فيه هويتها ومآلها. صار لها جسد مقتحم ومشارك بقوة لن تقهر بعد الآن.

حركة بوعزيزي بدأت كحركة لجسد مفرد له حكايته الخاصة والفردية، له تاريخه الشخصي؛ لكنها سرعان ما تخطت نفسها وتاريخها الخاص لكي تصبح رمزاً لحكاية جسد الثورة نفسها. تحولت حركة مدفوعة من تاريخ النظام العربي المحنط المتجمد الممتد مطيحة به وبعالمه ومحركة للتاريخ في نفس الوقت.

تحدث الثورة في الواقع وفي سياق العالم المادي وهي تقود الى التغيير الملموس والمحسوس للواقع فتحتل الميدان لتطال جميع الميادين لاحقا. وفي كل مرة يتكثف فيها الصراع ويصبح ممكناً انتزاع نصر مهما كان صغيراً فهو يحصل فيزيائياً: يلزمه أجساد للدفاع عن حاجز او سياج او ميدان. يلزمه القوة السياسية المرتكزة دائماً على قوة مادية وجسدية.

الجسد مبعث الثورة وسببها ومجسدها، فالثورة تحتاج إلى الحنجرة لتطلق الكلام والهتاف والى الذراع لترتفع عالياً في الهواء وإلى نظرات الغضب لكي تنزل كالصاعقة على الخصم وإلى الساقين والذارعين لكي تنقل الثورة وتحميها وتدافع عنها.. تحتاج الجسد منبع الحركة.

صادرت الشرطية بضاعة بوعزيزي من الخضار، استعادها؛ عادت فصادرتها؛ اعترض، صفعته الشرطية، رفض رئيس البلدية في ولاية سيدي بوزيد استقباله وكان قد رفض تشغيله.هدّد بحرق نفسه. احرق نفسك قيل له. فأحرقها.

جسد بوعزيزي فتح الهوة التي ستبتلع الظلم والقمع والذل وامتهان الكرامة. حركة بسيطة، جسد يحترق ويتحوّل العالم، ينقلب سحرياً. سحر الأجساد الغاضبة والثائرة. صار للتغيير جسد وصوت، خرجت الثورة من جسد مفرد غاضب ويائس ورافض فاجتاحت الساحات وانفلشت على امتداد العالم العربي لتجد لها مسرحا وملعبا.

الجسد المحترق تسبب في تغيير مستقبل الاوطان العربية؛ تحولت ناره كرة ثلج تدحرجت من سيدي بوزيد الى تونس العاصمة متسببة بثورة الياسمين التي جرفت أجسادها الثائرة النظام التونسي متخطية الحدود حيث حطت في ميدان التحرير لتندلق ثورة اللوتس التي كانت تتحضر وتنتظر اللحظة المناسبة منذ أن ضرب جسد خالد سعيد حتى الموت.

تتهيأ الثورة المصرية إذن منذ بداية يونيو 2010 أي اللحظة التي قتل فيها خالد سعيد ذو الثمانية والعشرين ربيعاً، في منطقة سيدي جابر في الإسكندرية بعد أن تم تعذيبه حتى الموت على أيدي اثنين من مخبري الشرطة اللذان أرادا تفتيشه بموجب قانون الطوارئ. سألهم عن سبب لتفتيشه أو إذن نيابة لم يجيباه وقاما بضربه حتى الموت أمام العديد من شهود العيان الذين قالوا إن شرطيين ضرباه بالأيدي والأرجل بطريقة مبرحة، ودقوا رأسه في سور رخامي بالسيبر، فسقط أرضا وقاموا بسحله على الأرض وسحبوه إلى العقار المجاور، ثم ضربوا رأسه في الباب الحديدي، وهو ما أدي لخلع جزئي للباب، ثم ضربوا رأسه في سلّم العقار وفي جدران المدخل. وتابع الشهود "كان هناك بالمصادفة اثنان من الأطباء ضمن المتواجدين واللذين حاولا إنعاش قلبه وقياس نبضه ولكن دون جدوى، ورغم ذلك استمر الشرطيان في الاعتداء عليه بالضرب للتأكد من قتله"، خالد أثناء الضرب كان يصرخ ويستغيث "أنا بموت"، فرد عليه أحدهم وقال "أنا مش هاسيبك غير لما تموت". ثم اقتادوه معهم، وبعد ربع ساعة عادوا مجددا وألقوه على الأرض".

عندها قام وائل غنيم أثناء عمله في دبي بتأسيس صفحة أو مجموعة "كلنا خالد سعيد" في الموقع الاجتماعي فيسبوك على شبكة الانترنت في شهر يونيو/حزيران 2010 م, تضامناً مع الشاب المصري خالد سعيد. تتابعت الاحتجاجات الواسعة التي مثلت بدورها تمهيداً لاندلاع الثورة كما دعا وائل غنيم من خلال الصفحة على موقع فيسبوك إلى مظاهرات يوم الغضب في 25 يناير عام 2011م.

تمرد الجسد المهان وثورته

في الحقيقة لطالما تساءلت، كيف للمصريين، أصحاب إحدى أكثر الحضارات عراقة وإدهاشاً القبول بهذا الوضع من الفقر والذل والفساد؟ حتى الدماثة واللطف والتهذيب والتسامح، الصفات التي يتمتع بها المصريون، تحوّلت مرادفاً للاستكانة والقهر نظراً للوضع المتردي، ليس فقط بسبب رؤيتنا لهم كذلك، بل ربما للسبب الجوهري أنهم صاروا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم

مغلوبين على أمرهم ومهانين في كرامتهم ولا أمل لهم في الخروج من تلك الدائرة الجهنمية التي غرقوا فيها. وانسحب هذا الشعور بالمهانة على العرب جميعاً بسبب من مكانة مصر وأهميتها وبسبب تشابه الأنظمة العربية.

عرفنا في لبنان هذا الشعور بانتقاص الكرامة جيداً لذا قامت انتفاضة 14 آذار في العام 2005. لكن ما حصل بعد نجاح ثورة تونس، التي لها الفضل الأساسي في كسر حاجز الخوف عند المواطن العربي الى الأبد، أدهش العالم وربما سيغيّره أيضاً فتباشير حركة وول ستريت توحي بذلك.

أما ثورة شباب مصر فلقد قامت بأنجح جراحة تجميلية يمكن أن يخضع لها البشر؛ فجأة تغيرت صورة الجسد العربي فانتصب شامخاً معتداً بوجوده يملأ الشاشات وتحولت اللفحة التي استخدمها الثوار ضد قنابل الغاز من رمز للحجاب الذي يختلط في نظر الغربيين بالإرهاب إلى شعار لمقاومة العبودية ولاستعادة الحرية والكرامة. وغطت صور الأجساد الفتية الثائرة الشاشات كإعلان عن أول ثورة مسالمة في التاريخ. أول ثورة نظيفة يحرص القائمون بها على تنظيف مكان تحركهم حرفياً بحيث عرف نظافة غائبة منذ أمد بعيد.

وتغطت الأجساد بالألوان واكتسبت حرية حركة وطاقة تعبيرية هائلة وحملت الأيدي الشعارات المعبّرة عن الأفكار السياسية وعن النكتة المهضومة عميقة المعنى وتحولت ألوان العلم المصري موضة وبدأت الكاميرا تبحث عن أجساد الثورة في تنوعها فأظهرت صورة المنقبة الوحيدة في الميدان على ما أعتقد لكي يخاف البعض: إنهم الإسلاميون!! والتقطت صورة الفتاة ذات الشعر الأحمر الاقرب الى الهيبي لكي تطمئن الخائفين واستعرضت فتاة حقيبة فيتون والمسلمات العاديات والمودرن والمحافظات والشباب بالاحذية الرياضية والشعارات والنكات والمجلات والرسوم وو.و. عالم جديد واجساد شابة حرة.

في 25 يناير انبثق جسد جديد بكرامة مستعادة وبروح العنفوان. في اتصال مع ابني الشاب الذي يدرس ويعيش في مدينة مونريال؛ وصف لي أن المصري تغيرت هيأته ومشيته وأنه صار معتداً بنفسه و فخوراً بانتمائه؛ وليس هذا فقط بل صار الكنديون ينظرون إليه بطريقة مختلفة وبإعجاب.

وبتغير جسد الشباب المصري، تغير سلوكهم. وصارت هيأتهم ومظهرهم فجأة مصدر إلهام للعالم، ونموذجا للشباب العصري وصار على الآخرين تقليده وحتى الغربيين بينهم الذين طالما قلدناهم. كانت الدراسات تشير إلى أن التحرش كان قد بلغ في مصر حداً خطراً، وجاءت الملامسة غير اللائقة للجسد على قمة أشكال التحرش ناهيك عن التتبع والملاحقة والمعاكسات الكلامية. مما كان يثير الكثير من التساؤلات حول تدني سلوكيات المصريين الأخلاقية طوال السنوات الماضية بالرغم من أن مظاهر التدين كانت في تزايد مستمر. فما الذي حدث ليجعل المصريين الرجال يقلعون عما كان البعض يعتقد أنها عادة سلوكية متأصلة فيهم؟

الثورة عالجت مجتمعاتنا المريضة، التي زخرت بجميع انواع العنف والانحطاط في السنوات العشرين الماضية، وعدا الاقتتال والحروب المتنقلة بين مكونات مجتمعاتنا المتعددة وعدا ظواهر الإرهاب والقتل العشوائي وتفجير الكنائس الذي طالنا وطال العراق ومصر والجزائر واليمن ، كان هناك الانتحار والعنف المنزلي الذي يشمل الطفل والمرأة يضاف الى ذلك كله العدائية في جميع أنواع السلوك. مارست الأنظمة جميع أنواع التنكيل والتعذيب طوال عقود طويلة وحولت الشعوب العربية الى ضحايا عاجزة ومريضة ممحوة الشخصية أجسادها "ميتة – حية"، أجساد عبيد.

لكن الثورة أكدت للجميع أن الكبت الجنسي لم يكن السبب في إنتشار التحرش الجنسي، بل كان السبب هو جعل الحياة لا تطاق. إنه كبت الحريات والقمع، حيث يشعر بعض المواطنين بأنهم مضطهدون وغريبون في وطنهم، ولم يكن ذلك إلا نتيجة للشعور بعدم الإنتماء للوطن، وبناء على ذلك، يعتبرون النساء عدوات لهم، فلا يتوانون عن الاعتداء عليهن. في مثل هذا الوضعية يعتقد الفرد أن الجميع أعداؤه، ويتعامل معهم على هذا الأساس: فلا يحافظ على الممتلكات العامة، ولا يحرص على حياة الآخرين أو كرامتهم ما دامت حياته رخيصة وكرامته مداسة. فيتقوقع وينطوي على نفسه ذليلاً وينطبع جسده متشكلاً بحسب هذه المشاعر التي تتجسد في هيأته وفي جسده.

الثورات تشفي وتعالج، وهذا ما كتبه أحد المتظاهرين في ميدان التحرير:"انتصار الثورة هو حل لجميع المشاكل النفسية للشعب المصري"، وكتب آخر أيضاً: "ثوروا تصحوا". وصرّحت صبية "حاسين مصر بقت بتاعتنا". استعاد الجسد قلبه الذي كان خارجه.

متابعـــــــــــات في الموضـــــــــوع ...

عنـدما يصبـح قتـل الجسـد ... احيـــاء لـــه.

د بن احمد قويدر علم النفس العيادي جامعة مستغانم، الجزائر / benahmed07@gmail.com

" . . اشكرك استاذة على هذا المقال الذي اعجبت به و جعلني افكر في تصور بشري ما اقدمت عليه من توضيح، عنونته ب: عندما يصبح قتل الجسد . . . احياء له.

اعتقد ان ما تشهده الساحة العربية من ثورات سلمية ما في الحقيقة الا اما قيمة الوعي سياسي جديد ينبئ عن وحدة في التفكير او انه عبارة عن ان هذه الشعوب لم تعد تحتمل سياسة سلطة القهر فهي نوع من الادراك لحقيقة "وهم الممارسة السياسية " التي افرغته من كيانه كانسان و جعلته عبدا لمشروعها " الدونكشوتي ". فعمل الثورة هو اقرار لحال هذه الشعوب و هو فضيحة لهذا الجسد من الداخل مثله كمثل المرض الخبيث "الورم" الذي لا يظهر الا عندما يصل الى مرحلة القضاء على صاحبه عندما يحرره اللم و يظهره عمل الطبيب و لكن هذا الجسد لا يتناسب مع طبيعة و قوة المرض و مدى انتشاره عندها يصبح غير قادر على التحمل و من ثم يشخص المرض و يبدا العلاج بجملة من الاصلاحات او اصتاصال الاعضاء المصابة كما حدث في تونس و مصر و ليبيا و اما في اليمن فقد تعرض هذا الجسد الى العلاج الكيميائي من خلال المماطلة و التعنت من طرف الورم و سوريا جسد اخر هو الان في حالة الانعاش و هو يتالم. و لنا في رسول الله اسوة حسنة عندما يقول " مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى" فالجسد هو لغة النفس و معاناتها من خلاله تنطبق الحقائق على الواقع و يصبح فناؤه محقق للقداسة التي تحل محل فنائه لذلك. امامنا اربع كلمات هي الجسد النار الحرية العبودية احراق الجسد كان مماثلا لاحراق الرمزي للعبودية

فاحراق الجسد هو فعل للفناء و احراق العبودية هو فعل لاحياء الحرية اي البقاء فالمعنى انه لا معنى للجسد الا من خلال فنائه. فرمزية النار هي الفناء و رمزية الجسد هي الوحدة و البناء و لكن هذا البناء لم يعد سليما ففيه من بذور الفناء ما يجعله رسكلة جديدة لجسد جديد و سليم و له وظائف مختلفة تتطلبها المرحلة القادمة هكذا احاول الن اتجاوب مع محاولة تحليل تلك العلاقة الجدلية بين هذه الرباعية التي كانت مفجرا و ميلادا لتصور جديد للحياة و من ثم السياسة و الاقتصاد و العلاقات الاجتماعية لغاية تحقيق الامن و و ارساء الحريات و التعبير الحر لان مستقبل العالم وفق ما هو موجود من معطيات يؤكد ان ظروف الحياة هذه لن تستمر كما هي لان المستقبل لن يرضى و لن يستطيع ان يعيش بهكذا طريقة.. فوداعا للقهر و العبودية باسم الحرية و الامن و خاصة باسم الديمقراطية التي لم تكن يوما الا في لغة وسائل الاعلام ...

*** ***

بوركت هذه الثورات التي أطلقت لنا عقلة اللسان وأزاحت الغمام عن بصيرتنا.....

د. مرسلينا شعبان حسن - محللة نفسية – سوريا / mar-selena@hotmail.com

أتفق معك سيدتي الرائعة الاحساس فيما تناولته لتصويرات الجسد في الساحات العربية ولكن اسمحي لي أن أضيف قليلا على ما تكرمت بعرضه وتوصيفه وقراءة رموزه، فأنا أرى: أن ما حصل هو / **استعادة للجسد والنفخ فيه**، ما حصل **قيامة للجسد الميت وبعثه من جديد** / فالأرض ومافيها نجدها مستباحة في حكم الدكتاتوريات الرعناء، عزيزتي الجسد من طين والطين أرض وحضارات البشرية بدأت مع اكتشاف النار، والنار عندما تشوي الطين كان الرقم الفخاري التي يميز حضارات المنطقة، علّها الاستعادة للأصل، والنار المطهر يعقم الفساد والانحلال والميوعة والتجمد العقلي والسياسي وأخطرها التجمد الروحي والنفسي، إذ بسيطرة الفكر العقائدي المتحجر كان الجماد والصقيع وجعل الناس هياكل جسدية لا تنفذ إليها حياة..... فالنار أعادت للدف للأرض فوجدنا هذه الانتفاضات في أرض الكنانة وعدن وحضرموت وبلاد الشام تدب فيها شرارات شتى من هنا وهناك ومازال الصراع قائما بين النار والدخان واليباب ... منتظرين الحسم بماء زلال يحيي الأجساد ويروي ظمئها للحرية الغناء.... بوركت هذه الثورات التي أطلقت لنا عقلة اللسان وأزاحت الغمام عن بصيرتنا الشاردة خلال سنين .....

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

**** ****

تذكيـــــــــــر

المؤتمـــر الثالـــــث للرابطـــــة العالميـــة لعلمـــاء النفـــس المسلميـــن

أسلمـــــة وتوطيـــن العلـــوم النفسيـــة

www.arabpsynet.com/Congress/CongJ29-30ConfIAMP.Malaysia.pdf
الجامعة الإسلامية العالمية/ كوالا لامبور- ماليزيا
6-8 ديسمبر 2011
http://www.iaompsy.org - iaompsy@yahoo.com

التسجـــل
www.arabpsynet.com/Congress/CongJ29-30ConfIAMP.Malaysia.Subs.doc

**** ****

Arabpsynet
www.arabpsynet.com
Arabic Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP
English Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP
French Edition
http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP

Subscribe To APN
http://www.arabpsynet.com/Subs.asp

Subscribe to APN Protected Links
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

Subscribe to APN Editions
(APN Book, APN Journal, e.Psydict)
SEND YOUR
Scientific CV
http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

*** ***

Search Papers
http://www.arabpsynet.com/paper/default.asp
Papers Form
www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

Search Books
http://www.arabpsynet.com/book/default.asp
Books Form
www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

Search Thesis
http://www.arabpsynet.com/These/default.asp
Thesis Form
www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

Search Arab Psychiatrist
http://www.arabpsynet.com/CV/default.asp
Search Arab Psychologist
http://www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp
CV Form
www.arabpsynet.com/cv/CV.HTM